15 ١٤

اتساع الجفوة :

كان طبيعيا اذن ان ينشأ فراق بين النظريتين المتضادتين. فنظرة الامير اتجهت الى العمل لتحقيق النجاح(?) ، وقد عدها الوطنيون انحرافا عن اصل الغاية واخذا بأنصاف الحلول التي لا تحقق غرضا ولا تنمي في الشعب ملكة النضال في سبيل الحرية . ونظرة الوطنيين المقيدة بالخوف من الحكمة(?) بالتئام الجد والحزم والصفاء(?) فنشأت الفرقة واتسعت الجفوة فراح كل من الفريقين يراقب مساعي الثاني في حذر ، ويمضي في طريقه غير طريق صاحبه. على ان الامير وهو يقاد(?) ، كان يبالغ في مكاشفة من لديه من الزعماء والشيوخ ويكلفهم بنقل جواب(?) ولائه(?). ويبدو انه لم يكن يميل الى ان يفعل ذلك وهو في بلادهم ومن اهل الزعامات والنفوذ على ان نفوذه مستمد منهم ولا سبيل لتغيير معاملتهم بالمطايبة والملاينة ويخشى انتقاضهم عليه كما بدا من استمالاته الآتية :

١ — ان تقدم له البلاد رهائن من ابناء الشيوخ ورجالها المعروفين

٢ — ان تقوم البلاد بثورة عامة تشمل المدن والاكناف والاطراف

٣ — ان تزود حملته بالسلاح والاموال والمؤن بالاضافة الى الاسلحة(?)

٤ — ان لا يشذ واحد من اهل سورية في طرد العدو بناء على الرغبة في الاستقلال

٥ — بعد نفاذ هذه الشرائط لا يرى كونه مانعا من ان يتقدم نحو الشمال

هنا صاح الصالحون : ماذا دهاك يا عظيم القواد وسليل جعفر بن ابي طالب الراقد في مؤتة المجاورة. اين اثر دمائه في شرايينك . واين ما اشتهر عن قوة بأسك وشدة مراسك وما قيل عن سرعة سيفك الى رأس كل فاصل(?) متوان ، او رعديد جبان ، او مواطن غير متفان ! استرخت القافلة(?) الشعب السوري بكامل افراده دون ان يشذ منهم واحد فهل سمعت عن امة غربية او شرقية انها خلت من فرد واحد يشذ عن الجماعات ، فجعلت شرطك هذا ذريعة لستر ذعرك ، وما جئت الا لترى في عاصمة معادية(?) تكون انت صاحب تاجه وصولجانه . ذلك ما اخذ القوم يتناجون فيه على تساؤل فيه من المرارة والتهكم ما فيه . والامير يتزيد من مقابلتهم بالبشر وطيب اللقاء . ولسنا نجهل ان يحمل له خليقة طيبة من خلوقه وحسن ادب العشرة ولطف المؤانسة ورقة المنادمة وكان يتذرع بها لتغليب حجته وتسكين ثورة الحماسة الوطنية وتخفيف حدة الانتقاد . الا ان ما نقول عن هذا وقف حجته عند حد تقدير ادبه الجم وخلقه الذاتي ولم يتعد الى التأثير السياسي وبدت ظلال(?) الافتراق عميقا وكان عاصفه(?) بلاغية وخطابية(?)
اصطناع الامير عددا من المرتزقة والنكرات استدناهم اليه مكان الاقطاب المتباعدين عنه ومن في اشهم(?) في مطاردة السيح(?) والبحر ولم يكن اولئك الذين اصطنعهم سوى حملة الحشاد(?) اكثر واحد منهم في حي(?) ولا كان لهم في مضمار الوطنية موضع .